﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. وإعادة الخلق بماهيّة جديدة في الآخرة ، مسألة ليست متوقّفةً على عالمي الإنس والجنّ .. فكلُّ ما يُعاد خلقه في الآخرة يكون بماهيّة جديدة ، ولذلك مهما حاولنا الوقوف على حقيقة ما أُخفي لأهل الجنّة من نعيم ، لا نستطيع ذلك ، لأنّه مخلوقٌ بهيئةٍ تختلف عمّا نعلم في الحياة الدنيا ..

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧]

.. فماء الدنيا (مقارنة مع ماء الآخرة) هو ماءٌ آسنٌ ، ولبن الدنيا يتغيّر طعمه ، بينما لبن الآخرة لا يتغيّر طعمه .. وكلُّ ما هو موجودٌ في الآخرة يختلف عنه في الدنيا ..

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾ [محمد : ١٥]

ولذلك حينما يُرزَق أهل الجنّة من رزقٍ ، يحسبونه ممّا رُزِقُوا من قبل ، لأنّه متشابهٌ في الشكل .. ولكنّه مختلفٌ في الماهيّة والطعم ..

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ ﴾ [البقرة : ٢٥]

.. والاختلاف بين نواميس الدنيا ونواميس الاخرة يطال حتى مفهوم الزوجيّة ، فلقاء الزوجيّة المعروف في الحياة الدنيا ، يختلف عنه في الحياة الآخرة بين أهل الجنّة وأزواجهم ..

.. فالنفس البشريّة الموجودة في عالم البرزخ ، ستُزَوّج – بعد النفخة الثانية – بجسد يُخلَق لها في الآخرة : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير : ٧] ، وهذا الجسد له ماهيّته المختلفة عن جسد الدنيا ، فهو مخلوق وفق معيارٍ له تعلّقه بنتيجة العمل التي خرج بها الإنسان من حياته الدنيا ..

.. كُنّا قد رأينا كيف أنَّ الأعضاء الجنسيّة – بماهيّتها الدنيويّة – ظهرت لآدم عليه السلام وزوجه نتيجة الخطيئة وبعد معصية الله تعالى في جنّة الاختبار .. فجسدُ آدم وجسد زوجه قبل تلك الخطيئة لم تظهر فيهما السوءة ، وبالتالي فالماهيّة الجنسيّة لآدم وزوجه قبل الهبوط الجسدي تختلف عمّا هي عليه الآن بالنسبة للبشر .. فالسوءةُ الظاهرة للإنسان في حياته الدنيا ، ليست كذلك في الآخرة ، وبالتالي فلقاء الزوجيّة بين أهل الجنّة وأزواجهم ليس بالآليّة التي تحدث في الدنيا ..

.. بل إنّ التمايز بين الأنوثة والذكورة الذي نعلمه في الحياة الدنيا ، يختلفُ عنه في الآخرة .. ومفهوم الطمث الوارد في القرآن الكريم بالنسبة للحور في الآخرة ، ليس كمفهوم اللقاء الجنسي في الحياة الدنيا ..

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن : ٥٤ – ٦٠]

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن : ٧١ – ٧٤]

.. وبالتالي فأهل الجنّة الذين يُزوّجهم الله تعالى بحورٍ في الجنّة ، هم المؤمنون من ذكور الدنيا وإناثها .. فالسياق القرآنيّ المحيط بعبارة تزويج أهل الجنّة بتلك الحور ، ليس خاصّاً بالذكور من أهل الجنّة دون الإناث ..

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان : ٥١ – ٥٦]

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور : ١٧ – ٢٠]

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن : ٧١ – ٧٤]

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِلِينَ

﴿ ٣١ ﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿ ٣٢ ﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿ ٣٣ ﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿ ٣٤ ﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿ ٣٥ ﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿ ٣٦ ﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿ ٣٧ ﴾ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿ ٣٨ ﴾ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿ ٣٩ ﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿ ٤٠ ﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [الواقعة : ١٠ – ٢٦]

.. إنّنا نرى أنّ السياق القرآني المحيط بالعبارات القرآنيّة ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ ، ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ ، ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ ، ليس خاصّاً بالرجال دون النساء ، فمرتبة المتّقين والسّابقين في الجنّة يدخلها الرجال المتّقون والنساء ، وبالتالي فكلّ العبارات المحيطة بعبارات التزويج بالحور ، تتعلّق بأصحاب مراتب الجنّة ذكوراً كانوا أم إناثاً ..

.. وَمِمَّا يُؤكّدُ صحّةَ ما نذهبُ إليه بأنّ الحور العين ليست إناثاً – على غرار إناث الدنيا – يُزوّجُها الله تعالى لذكور الجنّة حصراً دون الإناث الداخلات في الجنّة ، كما يتوّهم الكثيرون ، ممّا يُؤكّدُ ذلك أنّ الله تعالى لم يقل : (وَزَوَّجْنَاهُمْ حوراً عِيناً) ، بصيغة مشابهة لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ ، و لم يقل : (زوجناك بها) ..... فالزواج في الدنيا كلقاء بين الذكورة والأنوثة ليس زواجاً بالآخر .. وبالتالي لا يتعلّق بباء الواسطة والوسيلة ..

بينما في النصّين القرآنيّين في سورتي الدخان والطور يقول تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ ، أي يتمّ تزويج الذكور والإناث الداخلين إلى الجنّة بواسطة الحور العين ، فالحور العين – إذاً – هي واسطة زواج أهل الجنّة ذكوراً كانوا أم إناثاً ..

.. هكذا يُبيّن لنا اللهُ تعالى في كتابه الكريم .. أمّا مسألة إسقاط حيثيّات اللقاء بين الأزواج في الحياة الدنيا على لقاء الأزواج في الجنّة ، وأنّ الحور في الآخرة هنّ فقط

للرجال الأتقياء الذين يدخول الجنّة دون النساء ، وأنّ لقاء هؤلاء الرجال معهنّ في الجنّة كلقاء الزوجيّة في الحياة الدنيا .. كلُّ ذلك هو تصوّر بشري محكوم بتصوّرات دنيويّة لا دليل عليها في كتاب الله تعالى ، بل تناقض دلالات كتاب الله تعالى الخاصّة في هذا الشأن ..

.. فكلُّ ما في الجنّة من نعيم ولذّة ولقاء بين الأزواج ، له ماهيّتُه المختلفةُ عن نعيم الدنيا وملذّاتها ، كون ناموس الآخرة مختلفاً عن ناموس الدنيا .. ونحن في الحياة الدنيا ، وضمن تصوّراتنا المحكومة بنواميسها ، لا يمكننا الوقوف على حقيقة نعيم الجنّة وملذّاتها ، وعلى حقيقة ماهيّة لقاء الزوجيّة فيها بين الأزواج ..

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧]

.. إذاً كلُّ نواميس الآخرة تختلف – من حيث الماهيّة – عمّا هي عليه في الدنيا ، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فالهدف الذي من أجله يُوجِدُ اللهُ تعالى تلك الدار الآخرة ، يختلف عن الهدف الذي من أجله أوجد اللهُ تعالى الدار الدنيا ..